إذا نزلوا ساحة قتال أفسدوها

بقلم د.هاني السباعي

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

الحمد لله والصــلاة والســلام على رســولنا الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم.

تقدمة:

كنت أكفكف حــدة قلمي حــتى لا يكتب متــأثراً بعاطفة قد تحيد عن الحق لا قدر الله تعالى! فـأثرت السـكوت ــ علم الله ــ أني كنت أتململ وأنا أتــابع التعليقــات والتعقيبــات المتبادلة بين دولة الإسـلام العراقية وبين بعض الفصـائل الجهادية في السـاحة العراقية أيضـــاً! ولم أشأ أن أستســـلم لســـلطان العاطفة لأن للعاطفة غير المنضبطة بالشرع دوراً في تشويش الأفكار والميل كل الميل مع الهـوى! وكـانت بعض الرسـائل تـردني من أمـاكن متفرقة تحثــني على التعليق على ما يجــري من أحــداث! وكنت أتــردد خشــية أن يفهم كلامي أنــني أزيد من أوار الفتنــة! ثم إن إخوة فضلاء قاموا بالتعليق والرد والذب عن إخوانهم المجاهــدين نســأل الله أن يكــون دفــاعهم وردهم وتعليقــاتهم في مــيزان حسناتهم يوم القيامة.

ورغم ما يقـوم به هـؤلاء الاخـوة الأكـارم من ردود طيبة إلا أني رأيت أن حبل الفتنة ممتد على الجــرار! وقد اســتبان لنا أن هنــاك تنظيمــاً جديــداً متعــدد الروافد مســتمر في غيه وعدوانه لطمس معالم الجهـاد المبـارك في أرض الرافـدين! إذن فقد بلغ السيل الزبى! وجاوز الحزام الطبيين! فما عـاد السـكوت يجـدي! وما عاد الصمت حكمةً في مثل هـذه المــواطن! ومن ثم أطلقت لقلمي العنان محتسـباً ما أكتبه لوجه الله تعـالى ثم نصـرة للحق وأهله! وقد جاء في سنن الترمذي وفي صحيح الجامع الصغير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال: " من رد عن عـرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة".

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قـال رســول الله صــلى الله عليه وســلم "انصر أخــاك ظالمــاً أو مظلومــاً. فقــال رجــلٌ يا رسول الله أنصــره إذا كــان مظلومــاً أفـرأيتَ إن كـان ظالمـاً كيف أنصـره قـال: تحجـزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره". وفي صحيح الجـامع: "كيف يقـدس الله أمةً لا يأخذُ ضعيفها حقَّهُ من قويّها، وهو غير متعتعٍ".

ومن منطلق هذه الأحاديث الشريفة نسـير في هـذا المقالة على النحو التالي:

أولاً: حكاية من ماض غير بعيد: القصر الحسن.

ثانياً: الساحة الأفغانية.

ثالثاً: ساحة البوسنة والهرسك.

ثالثاً: ساحة الشيشان المنسية.

رابعاً: ساحة الصومال.

خامساً: الساحة الفلسطينية.

سادساً: الساحة العراقية.

سابعاً: صفوة القول.

أولاً: حكاية من ماض غير بعيد: القصر الحسن!:

هذه الحكاية باختصار عبارة عن حوار تم بين جدران زنزانة مكتظة بالمعتقلين الإسلاميين في سجن أبي زعبل بمصر عقب مقتل السادات عام 1981م وكانت جدران الزنزانة تضم بين جنباتها أفكاراً مختلفة لجماعات متعددة، وفي إحدى الليالي قام أحد الشباب وكان إخوانياً بإلقاء كلمة عقب صلاة المغرب؛ وذكر أن هناك قصراً حسناً منيفاً جميلاً وظل يصف سعة وحسن وبهاء القصر بأسلوب بلاغي شيق بحق! وظننا أنه يقصد الإسلام بهذا الوصف البديع لأنه المتبادر إلى الذهن! ثم بعد أن انتهى من وصف القصر وأخذ بقلوب الاخوة وهم يستمعون إليه بشغف! ثم استطرد قائلاً من دخل هذا القصر فقد فاز! ومن لم يدخله فلا يلومن إلا نفسه! إن هذا القصر حسن كل ما فيه حسن لأن الذي شيده البنا حسن! هذا القصر هو الإخوان المسلمون! فهاج الاخوة وماجوا وعلت الأصوات وتداخلت فلم يعد أحد يفهم شيئاً من اختلاط الأصوات! ثم هدأت العاصفة فقام العبد الفقير إلى ربه بإلقاء كلمة بسيطة وتوجهت بعدة أسئلة للأخ صاحب القصر الحسن! أنت قلت من لم يدخل هذا القصر فلا يلومن إلا نفسه! فما مصير من لم يدخله قبل ميلاد الشيخ حسن البنا رحمه الله؟! هل هم على الإسلام الصحيح أم هم أهل شرك أم هم أهل فترة! فضحك الاخوة لما قلت له: (أهل فترة)! .. ثم قلت له: وما مصير أبي وأمي ومعظم أهالي المسلمين الذين لم يتشرفوا بالدخول في هذا القصر الحسن؟! وما حكم من رفض وأصر على عدم الدخول في هذا القصر الحسن؟! ولماذا يلومون أنفسهم؟ ألأنهم لم يدخلوا هذا القصر الحسن!

فلم ينبس ببنت شفة وظل يتعلل بأشياء غير صحيحة ورغم ذلك فيا للحسرة: لم يعتذر!

هكذا يختزل أنصار هذا التيار الإسلام في قمقم ضيق وزاوية صغيرة فطفق الإسلام العملاق حبيساً في ذلك القمقم! ولم يعد يستوعب الإسلام إلا أصحاب ذلكم القمقم! فصار الإسلام غريباً عن أهله! وأضحت عقيدة الولاء والبراء سلخاً

مشوهاً لا يتعرف عليه الإسلام الذي بين دفتي المصحف وصـحيح السنة المطهرة!

أضـحت العاطفة لهـذا الإسـلام المهجن المستنسـخ! هي الحكم! وصار هـذا القمقم يتناسل إسلاماً أنبوبياً! وتم وضع هـذا الإسلام الأنبوبي في حضانات خاصة لتقديمه للعـالم على أن هـذا المستنسخ الجديد هو الإسـلام الحقيقي! سـبحانك هـذا بهتـان عظيم! فليس لدى هذا الإسلام الأنبـوبي المستنسخ مـانع من أن يحكمه شيوعي/ملحد/نصراني/بوذي/شـقي مريـد/أي منحـرف إلا الإسلام الذي بين دفتي المصحف!

قد يقول قائل ما علاقة هذا بأصل الموضوع؟!

نقـول هـذا هو أصل الموضـوع إن هـذا التيـار بروافـده المختلفة وتحت مسميات متعددة هو الذي اختطف الإسلام الـذي بين دفتي المصـحف وصـحيح السـنة الشـريفة! وهـذا سـبب تلك الفتن والإحن المتوالية على المسـلمين والحركـات الإسـلامية المجاهدة بصفة خاصة حيث يختزل أنصار هذا التيـار الإسـلام في جماعتهم! فصار الـولاء للجماعة والـبراء ممن يخـالف الجماعـة! ومن ثم فـإن من لا يسـير على دربهم وفي أطـرهم الفكرية والمنهجية فلن يقبل منه! مهما أوتي من العقيدة الصحيحة والبلاء المبين والجهاد المجرد لله رب العالمين! لماذا لا يقبل منه لأنه لا ينضوي تحت رايتهم!

لكن قد يقـول قائـل: إن هـذا التيـار له بلاء وجهـاد قـديماً وحديثاً في فلسطين وبعض الساحات الأخرى والآن في العراق!

أقـول: نعم كـان ولا يـزال لهم في هـذه السـاحات الجهادية من الشـباب الطيـبين الـذي يحبـون هـذا الـدين العظيم! لكن المشكلة في الأدمغة المتنفذة في هذا التيار! هم الـذين يحرفـون جهـاد الشـباب عن مواضـعه! ويسـتخدمون جهـاد هـؤلاء الشـباب لمصالح حزبية ضيقة! فيتعطل الهدف من الجهاد فبـدل أن يكـون لإعلاء كلمة الله صار لإعلاء شأن الحزب أو الجماعة أو للحصـول على كرسي في مجلس يشرع بغـير ما أنـزل الله أو لمنصب في وزارة تحكم بقانون الشيطان وليس بشريعة الرحمن!

ومـاذا فعل قـادة هـذا التيـار في السـاحات الـتي تواجدوا فيها: مـاذا فعلت حمـاس الجزائر تحت قيـادة الشـيخ محفوظ نحناح! تحـالفت مع العسـكر الفرنكفونـيين ضد إخـوانهم (جبهة الإنقاذ) التي كانت تؤمن بمعظم أفكـار جماعة حمـاس في الجزائر لكن لأنها لم تخـرج في مدرسـتهم ولم تكن تحت رايتهم! تحالفوا مع العسـكر وكافـأهم جـنرالات فرنسا بمناصب وزارية لا تسـمن ولا تغـني من جـوع! ولا يزالـون يهرولـون! ويستمسـكون بهذا الفتـات! أما عن حمـاس فلسـطين فلها فقـرة مسـتقرة في هـذا الموضـوع.. وحاليـاً أعلن عـبر وسـائل الإعلام عن تنظيم حماس العراق! صار هـذا الاسم (حمـاس) الـذي كـان مرحبـاً بها

إبان الانتفاضة الأولى وحتى الثانية! صار له دلالة عكسية تماماً! يبشر بانقسام وتشرذم خطير على الساحة العراقية!

أما عن جهادهم:

لقد شرع الله الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:244) وقوله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) (النساء:76) وكذلك قوله سبحانه(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الأنفال:39).

وبين لنا رسولنا الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم القول الفصل كما في صحيح البخاري: "عَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً ، فَأَىُّ ذَلِكَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا ، فَهْوَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ".

بل إن الله تعالى يقول لأوليائه المقربين ورسله الكرام: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الزمر:65)

ويبين لنا أنه لا ضمان لأحد بامتنانه بعمله الصالح ولو كان ذروة سنام الإسلام.. يقول سبحانه وتعالى: (ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام:88)

المشكلة في هذا التيار أنه يريد أن يجمع بين متناقضين: فهم مع هولاكو وفي نفس الوقت مع صلاح الدين! وكما نعلم أن المتناقضين لا يجتمعان! إلا عن هذا التيار طبعاً! فهم مع المحتل وضد المحتل! هم مع المحتل؛ حزب طارق الهاشمي وبطانته من الحزب الإسلامي (إخوان مسلمين)! وضد المحتل؛ بعض الفصائل المقاتلة في العراق المحسوبة على تيار الإخوان!

إن عقد هذا التيار أنه يعيش على أطلال الماضي والبكاء على ربعه الخالي! لم يعد يستوعب أن الأولاد الصغار قد كبروا وشبوا عن الطوق! وصاروا فقهاء وأئمة ولهم سواعد قوية يستخدمونها في سبيل نصرة هذا الدين! لم يستوعب أنصار هذا التيار أن هؤلاء الشباب صارت لهم تجربة رائدة وفريدة على مستوى العالم وكما كانت لهذا التيار حكايات وتجارب عن سجون الطاغوت ناصر والجلاد عبد الهادي وصلاح نصر وشمس بدران وصفوت الروبي وكبار جلادي العصر الناصري! الذين صار معظم هؤلاء الجلادين أصدقاء لقادة هذا التيار!

وكذلك هناك حقـائق من الهـول والتعـذيب في عهد الكفـور السفاح حسني مبارك! وسجون أئمة الردة الذي يحكمون العـالم الإسلامي! وإذا كان أنصار هذا التيار قد ابتلوا في دولة أو دولتين! فـإن هـؤلاء الفتية يعـذبون في معظم سـجون العـالم السـري والعلـني بلا اسـتثناء (بـاجرام/باكسـتان/قنـدهار/جوانتنـامو/أبو غريب/سجون طواغيت العرب والعجم).. حملة بربرية لا نظير لها في التاريخ المعاصر ضد ثلة مؤمنة لا ربـاط بينها إلا هـذا الإسـلام العظيم أعني الإسلام الحقيقي الذي بين دفتي المصـحف! وليس إسلام بين .. بين أو الإسلام الأنبوبي المستنسخ! فلا يستطيع أحد أم يزايد على صـــبر وبلاء هـــؤلاء الشـــباب الـــذين أعز الله بهم الإسلام!

نظرة الاستعلاء والكبر:

ينظر أنصـار هـذا التيـار باسـتعلاء وأسـتاذية بل وازدراء إلى فكر وعمل هـؤلاء الشـباب لأنهم بكل بسـاطة لم يتخرجـوا في مدرسـتهم! يقولـون عنهم إنهم قلة وهم التيـار الغـالب والسـواد الأعظم والفكر الوسطي المعتدل! وفكرهم فكر جمهـور الفقهـاء (يقصدون فقهاءهم) على طريقة بعض العلماء قديماً! هذا إجمـاع العلمـاء في مسـألة فقهية مـا! والحقيقة أنه يقصد إجمـاع علمـاء مذهبه!

فإذا كان هؤلاء الشباب قلة غير منضبطة على حد زعمهم؟! فلماذا هذه الحرب الضـروس ضد قلة منبـوذة؟! ولمـاذا كل هـذا التشنيع والتحـريض ضد هـذه الفئة الضـالة حسب مقيـاس خـادم الحرمين!

هذا يذكرنا بقول فرعـون زعيم الفـراعين وقـدوتهم في كل زمان ومكان:

(إِنَّ هَــؤُلاءِ لَشِــرْذِمَةٌ قَلِيلُــونَ) (الشــعراء:54)ـ (وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَـائِظُونَ) (الشـعراء:55).. طالما أنهم شـرذمة قليلـون! فلمـاذا كل هـذا الاسـتنفار والجيـوش الجـرارة يا أيها الفرعـون؟ تخيلـوا الفرعـون الـذي يقـول لأهل مصر (وَقَـالَ فِرْعَـوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) (القصص:38)ـ ويعلنها صـراحة (فَقَـالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) (النازعـــات:24).. يقـــود هـــذا الـــرب المـــزور! الجيـوش بنفسه ويسـتنفر رعيته جمعـاء لقتـال شـرذمة قليلين! يقصد نبي الله موسى عليه السلام ومن معه!

هــذا هو عين منطق الاســتكبار والاســتعلاء في الأرض وإن كان ممن ينتسب صاحبه لهذا الدين الحنيف!

فليتق الله قـادة هـذا التيـار في هـؤلاء الشـباب الـذين هم مصابيح هذا الزمان وكواكبه وليتأملوا قول الشاعر:

ومَنْ هاب الرجالَ تهيبوه *** ومنْ حَقَرَ الرجالَ فلن يُهابا

وأصفح عن سباب الناس حلماً *** وشرُ الناس مَنْ يهوي السبابا

أُحبُّ مكارم الأخلاق جَهدي *** وأكره أنْ أعيبَ وأنْ أُعابا

ثانياً: الساحة الأفغانية:

أفغانستان أم التجارب بحلوها ومرها! ورغم ذلك فقد خرج من رحمها الخير العميم! وهذه التجربة جديرة بالتأريخ المجرد عن الهوى وقد تطلب ذلك جهداً جماعياً تعاونياً لكن نظراً لانشغال من بقي على قيد الحياة من أبطال هذه التجربة في مقارعة أعداء الأمة فإن هناك ثغرات وفجوات تحتاج إلى شهادة لتكتمل الصورة الحقيقية لهذا التجربة الجهادية الفريدة التي كانت الانطلاقة الكبرى نحو العمل الجهادي الأممي!

لقد دخل هذه الساحة أفراد وجماعات وتيارات مختلفة تحت راية الإسلام.. وهذه الساحة التي جمعت بين كثير من المتناقضات! إذ لم يغب عنها شياطين الإنس من أجهزة الاستخبارات وأوكارها التي كانت مرابطة في مدينة بيشاور على الحدود الأفغانية! وقد تلاقت إرادات كل هذه المتناقضات على قتال الشيوعيين ودحرهم بدون ترتيب سابق! فشباب العالم الإسلامي استجابوا لنداء الجهاد بمحض إرادتهم ولا علاقة لهم بأية أجهزة استخباراتية في العالم؛ فلم يمولهم أو يدربهم أحد وكانوا يعتمدون على خبرات بعض القيادات الجهادية من ضباط سابقين في بعض الجيوش العربية وقاموا بإنشاء معسكرات بسيطة لتدريب الشباب قبل توجههم إلى ساحات القتال في قلب أفغانستان!

وكانت الساحة مفعمة بروح الجهاد يملأ قلوب الشباب الذين قدموا من كل حدب وصوب، وكان لأهل الجزيرة في الحجاز واليمن ودول الخليج السبق بأنفسهم وأموالهم! وطفق الشباب والشيوخ يأتون إلى هذه الساحة الجهادية من مشارق الأرض ومغاربها!

وفي ظل هذا المناخ المعطر برائحة البارود والأخبار المتوالية عن العمليات البطولية وقصص الشهداء الذين قتلوا في ساحات الجهاد في أفغانستان! كان هناك تيار وفد على الساحة لدعم المجاهدين الأفغان عن طريق تشكيل هيئات إغاثة تعنى بالأدوية والأطعمة والتدريس ولإقامة مخيمات للاجئين الأفغان في بيشاور غير ذلك من خدمات! وكانت الحكومات العربية لا تمانع في ذلك الوقت لأن أمريكا والغرب كانوا يرغبون في القضاء على الاتحاد السوفييتي المقبور! فكانت نقابة الأطباء المصرية لها الريادة في هذا المجال واستطاع أنصار التيار (الإخوان) أن يقيموا بعض المراكز البحثية في محاولة منهم في دراسة واحتواء الساحة ونشر فكر (القصر الحسن)!

باستثناء الشيخ الشهيد نحسبه كذلك كمال السنانيري عام 1981م ، والشيخ الشهيد نحسبه كذلك الدكتور عبد الله عزام عام 1989م، لأنهما يحتاجان لدراسة خاصة ولا نريد أن نتشعب بالموضوع لأننا بصدد الحديث عن المنهج العام لهذا التيار الوسطي! بصفة خاصة! لأنه بكل صراحة فإن ساحة القتال والمعسكرات كانت مكتظة بآلاف الشباب في الوقت الذي كان شباب الإخوان يستمتعون بالمعسكرات الترفيهية الصيفية والمتابعة من بعد والانشغال بالانتخابات الطلابية والنقابية والتشريعية والاستقرار الجامعي والتعليمي والوظيفي! في الوقت الذي كان الشباب غير المنتسبين لهذا التيار المسمى بالوسطي! يبيتون على الطوى في جبال وكهوف أفغانستان! كانوا يبيتون على أزيز الطائرات والقنابل العملاقة التي كانت تدك معسكراتهم! وفي الوقت الذي كانت قوافل الشهداء تصعد إلى سماء أفغانستان! كانت هناك قوافل أخرى تصعد إلى شواطئ الإسكندرية ومعسكرات النزهة!

لم يكن الإخوان وحدهم:

وإحقاقا للحق فلم يكن الإخوان وحدهم الذين يحاولون احتواء الساحة! فقد كانت المخابرات السعودية في غاية النشاط عن طريق تركي الفيصل مدير المخابرات في ذلك الوقت واستطاعوا أن يزرعوا بعض الأشخاص في قلب الساحة الجهادية وكونوا علاقات حميمة مع جماعة أحمد شاه مسعود عن طريق الصحفي (ج ق)الذي كان يعمل في جريدة الحياة ثم عينوه مستشاراً إعلامياً في السفارة السعودية في دولة غربية وله الآن مجلة يديرها! كان هذا الشخص صديقاً حميماً لمسعود! وكان يرتدي زي المجاهدين ويتقن مصطلحاتهم! ولله في خلقه شؤون!

المهم أن أنصار التيار الوسطي جداً! كانوا يتلقون الركبان من أهل الثراء والخير الذين كانوا يقدمون للتبرع بأموالهم للمجاهدين! فكانوا يتلقونهم ويستضيفونهم ويحولون هذه الأموال مع الأسف الشديد! إلى فريق من المجاهدين بعينه (برهان الدين رباني/مسعود/سياف) رغم أن سياف (اتحاد إسلامي) لم يكن له أتباع بحجم الجمعية الإسلامية غير أن سياف كان يحسن اللغة العربية وتم تلميعه وتقديمه على أنه شيخ المجاهدين ورمز الصمود! لماذا؟! لأن سياف كان قد تربى واقتنع بفكر الإخوان فصار الصورة المقبولة لدى وسائل الإعلام العالمية لدرجة أن الشعراء كانوا يتغنون بسياف:

سياف ألف تحية أهديكها *** من أرضنا من منبع الإسلام

وفي ذلك الوقت كان حكمتيار مغضوباً عليه من قبل هذا التيار لأنه ضد مسعود! مع العلم أن حكمتيار (حزب إسلامي) لم يكن في حاجة إلى أموالهم لأنه كان ممولاً من الحكومة الباكستانية ومن القبائل الأفغانية فكان أكثر تنظيماً وكانت له شعبية جارفة في أفغانستان! أما عن مضايف الوافدين

المجاهـدين ومعسـكراتهم فلم يعبا بها هـؤلاء (التيـار الوسـطي المعتـدل جـداً)! لأنه بكل بسـاطة كـانت لهم مضـافات خاصة باعتبارهم من علية القوم!

لكن العجب العجـاب! أنهم ضـنوا بشـبابهم على الـذهاب لسـاحات القتـال في أفغانسـتان واكتفـوا بالنشـاط الإعلامي وإرسال بعض قادتهم لاستكشاف الساحة كما في زيـارة المرشد الأسبق الأستاذ حامد أبو النصر! وكان له شريط مسـجل في تلك الحقبة استنكره كثير من الشباب! وكـان للصحف الـتي يملكونها أو تكتب بلسـان حـالهم مثل (الـدعوة) (والاعتصـام) و (لـواء الإسلام) في مصر، والإصلاح الإماراتيـة، والمجتمع الكويتيـة! دور كبير في تغطية ما يجري في أفغانستان!

وهكذا كانت تتلاطم أمواج بشرية من خيرة الشباب وخاصة في الفـترة من 1986م إلى 1990م على سـاحل سـاحة الجهـاد الأفغاني من غير التيار الوسطي جداً! هؤلاء الشباب الذين حملوا مشعل الجهاد في أفغانستان ورووا بـدمائهم الطـاهرة جلال آبـاد وخوست وقندهار وكابل وهـيرات وغيرهـا! فمعركة (جـاجي) في سنة 1987م شاهدة على البطـولات الفـذة للمجاهـدين العـرب! ومعركة جلال آباد الـتي استشـهد فيها اكـثر من سـبعين مجاهـداً عربياً من خيرة الشباب! ومعركة مأسدة الأنصار الشهيرة!

هؤلاء الشباب كانوا يقاتلون في جبهـتين في وقت واحد في أفغانستان وكشمير! هؤلاء هم أنفسهم الـذين وصـفوا بقلة الفهم والتهور والجهل وفي النهاية تشويه الإسلام!

لقد تم إفساد الساحة الأفغانية بالريال السعودي عن طريق شق صفوف المجاهدين بتكوين أحلاف جديـدة كما حـدث للأسف مع (جمعية أهل الحديث) بقيادة الشيخ جميل الـرحمن رحمه الله تعـالى! حيث لم تكن السـاحة في حاجة لأحـزاب جـدد! وكـان سياف يمـول من كل هـذه الجهـات من السـعودية وأنصـار التيـار الوسطي جدا!

لما انهـزم السـوفييت وخرجـوا من أفغانسـتان في عـام 1989م، وحوصرت كابل ثم سقطت الحكومة العميلة في كابول في عـام 1992م ودخل المجاهـدون الأفغـان مظفـرين وشـكلوا حكومة المجاهـدين برياسة ربـاني! لم يطبق هـؤلاء الأشـاوس الشريعة الإسـلامية الـتي كـانوا يزعمـون أنهم يقـاتلون من أجلها وباسـمها! فقد قـام بخطـوات في منتهى الغرابة تحـالف مع الشيوعيين وعلى رأسهم عـدو الإسـلام السـفاح المبـير دوسـتم! وأثنـــاء زيارته لمصر أعلن أنه على اســـتعداد للقبض على المجاهدين المصـريين وتـرحيلهم لبلـدهم! رغم أنه لم تكن هنـاك أحـداث عسـكرية في مصر في تلك الفـترة بهـذا الحجم! وثالثة الأثـافي أنهم تركـوا عميل السـوفييت نجيب الله في مقر الأمم المتحـدة! ولم يطـالبوا حـتى بمحاكمته على ضـوء الشـريعة الإسـلامية! وانشـغل الإخـوة الأعـداء بالتحـارب وجعلـوا كابل وأفغانستان قاعاً صفصفاً! وانتشر قطاع الطرق ولوردات الحرب

الذين عاثوا في أفغانستان فساداً! حتى قام الطلبان وكنسوا هذه العصابات المجرمة وشعر الشعب الأفغاني لأول مرة في حياته بالأمن والأمان وأن هناك حكومة حاسمة حازمة في تطبيق الشريعة ودليل ذلك لما فتحوا كابل أخذوا نجيب الله وعلقوه على أعواد المشانق علانية أمام الشعب وأمام وسائل الإعلام المتواجدة في ذلك الوقت!

فماذا بعد؟! لقد هرب رباني ومسعود إلى وادي بنجشير! وفر دوستم إلى تركيا! وحكمتيار! إلى إيران!

وتربص الجميع بدولة طالبان الوليدة فقام أنصار التيار الوسطي جداً! بموالاة الشيوعيين السابقين وكانت لهم حظوة لدى موسكو وريثة الاتحاد السوفييتي المقبور! ووجهت لهم طلبان نداءات ووسطاء للرجوع والعيش في ظل الدولة الإسلامية الجديدة والتحاكم إلى الشريعة الإسلامية! فلم يكن من أنصار رباني وبطانته إلا التعالي والاستكبار والتحالف مع الاستخبارات الغربية وخصوصاً المخابرات الفرنسية التي كانت تتغنى ببطولة أسد بنجشير (أحمد شاه مسعود)! وكانت تغدق عليه بالعطايا وعلاج أنصاره في فرنسا وإرسال الممرضات الفرنسيات إلى المناطق الخاضعة لنفوذه إبان الغزو السوفييتي وحتى بعد هروب مسعود إلى وادي بنجشير!

صنم بوذا:

ثم كانت حادثة صنم بوذا الذي قامت الدنيا ولم تقعد بسببه! حيث قامت الأنظمة المرتدة المغتصبة للسلطة في بلاد المسلمين باستخدام أنصار هذا التيار في تشويه الطالبان واتهمهم بالتخلف والجهل ووصموهم بمفردات قاموس الازدراء لدرجة أن بعض الناس ظن أن الطلبان هم من عجينة يأجوج ومأجوج! تطوع جماعة من علماء المسلمين بقيادة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي ومفتي مصر الأسبق نصر فريد واصل وآخرين! وسافروا لإقناع الملا عمر زعيم المتخلفين! وكان في مخيلة هؤلاء العلماء الموهومين أنهم سيفحمون الطالبان وأن الطلبان سينبهرون بالأدلة الدامغة التي ستنهمر من عمائم هؤلاء الأشياخ! وكانت المفاجأة أن كوكبة العلماء رجعوا بغير الوجه الذي سافروا به! فلقد علمهم الطلبان دروساً في حسن الأدب وحسن المناظرة وحسن التمسك بالأدلة الشرعية وحسن الاعتزاز بالإسلام! فكانت النتيجة أن الحكومة المصرية أقالت الشيخ نصر فريد واصل من منصب الإفتاء بعد أن صرح لبعض وسائل الإعلام تفهمه للأدلة التي تعتمد عليها طالبان رغم عدم دفاعه عنهم!

المؤامرة:

ثم كانت المؤامرة تتم على قدم وساق لإزاحة طالبان من سدة الحكم وكان برهان الدين رباني يعتقد أن الأمريكان ينصبونه حاكماً لأفغانستان! وأن سياف ربما يكون رئيس الوزراء! وأن

الأمريكـان سـيقدمون لهم أفغانسـتان هدية لـولائهم للأمريكـان ولحربهم إخوانهم في الدين الذي يزعمون أنهم مستمسكون بـه! فمـاذا بعـد؟! دمر الأمريكـان أفغانسـتان! وجيء بتـاجر دجـاج! (كرزاي) لم يطلق رصاصة في حياته لقتـال الـروس وتم تنصـيبه رئيساً لأفغانستان في حضور برهان الدين ربـاني وفهيم وسـياف وتلكم العصابة التي أحلت قومها دار البوار! جلسوا صاغرين أذلاء وهم يستمعون إلى حامد كرزاي الذي صـار أمثولة للعملاء الجـدد وليحل محل أبي رغـال في ضـرب الأمثـال! هكـذا كـان عاقبة الاستعلاء والتحالف مع أعداء الإسلام! ما ضـرهم لو أنهم تحـالفوا وانضـووا تحت راية الطالبـان! اليس رعي الإبل خـير من رعي الخنـازير! على حد قـول المعتمد بن عبـاد في الأنـدلس قـديماً! وصـدق الله العظيم في محكم التنزيل : (وَمَنْ يَعْتَصِـمْ بِاللَّهِ فَقَـدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)(آل عمران:101)..

ثالثـاً: سـاحة البوسـنة والهرسك من 1992م إلى 1995م:

كالعادة قام المجاهدون بتلبية داعي الجهاد لنجـدة إخـوانهم في البوسـنة والهرسـك! وكـانت ملحمة قتالية لقنت الصـرب المعتـدين دروسـاً في فنـون القتـال والشـجاعة لم يعهـدوها في خصـومهم من قبـل! وكـان الشـباب يقطعـون آلاف الأميـال ويتجـاوزون الفيـافي والقفـار ويعـبرون قمم الجبـال ويخـاطرون بـأرواحهم عـبر البحـار والسلاسل الجبلية الـوعرة نصـرة لـدينهم المعتـدى على حرماتـه! ونظـراً للانتصـارات الـتي شـهدتها قـرى وجبال ووديان سراييفوا.. كان هناك تياران يتنافسان على احتـواء هذه الساحة الجهادية الجديدة!

التيـار الأول: الاسـتخبارات السـعودية الـتي كـانت ترسل بعض المشـايخ بـالأموال لـدعم مسـلمي البوسـنة رغم أن هذه الأموال من تبرعات شـعب الحـرمين الـذين كـانوا يتـبرعون بكرائم ونفائس أموالهم في كل ساحة جهاد! لكن الحكومة كانت تستغل هذه الأموال بزعم توصـيلها بطـرق قانونية ومن ثم كـانت تتحكم في هذه الأموال وتفـرض شـروطها على من يسـتفيد منها فكانت تهتم بعمل ملفات للشباب المجاهد في تلك المعسـكرات تحت مسـمى إعطـاء رواتب لهم! والطلب منهم بكتابة وصـاياهم لأن هـذا مطلب شـرعي! ليتعرفـوا أكـثر على طبيعة فكر هـؤلاء الشـباب وسـهولة السـيطرة عليهم إذا رجعـوا إلى بلادهم! لـذلك كـانوا يطـردون أي مجاهد مهما كـانت حيثيته الشـرعية من المعسـكر إذا تكلم أو تنـاقش في قضـية الحكم الشـرعي في الحكومة السعودية؟ أو مجرد الحديث عن خادم الحـرمين! فكـان الطـرد والحرمـان من المعسـكر ويقطع عن هـذا المسـكين حق المبيت ويـؤمر بالرحيـل! وهم يعلمـون أن السـاحة البوسـنية في غاية الخطورة وأن هـذا المجاهد المسـكين ربما يقع في الأسر أو يقتل شر قتلة على أيـدي العصـابات الصـربية! وكـان هـذا من أسـباب لجـوء بعض هـؤلاء الشـباب بتشـكيل كتيبة خاصة بهم لا تلتزم بمعونات الحكومة السعودية! هكـذا تم إفسـاد السـاحة عن طريق الريال السعودي!

أما عن التيـــار الثـــاني فهو المســـمى بالتيـــار الوسـطي المعتـدل (تيـار الإخـوان) فكـانوا يكتفـون بالعمل الإغــاثي بإرســال البطــاطين والأدوية وغــير ذلك من خــدمات! ويضنون بشبابهم عن الذهاب إلى البوسنة حـتى ولو بطريق غـير مباشر بعيـداً عن مراقبة الأنظمـة! لكنهم كـانوا يهتمـون بالجهـاد الأكبر في ساحات النقابات المهنية والمجالس التشريعية! ولسان حالهم لهؤلاء الشباب الذي ترك الأهل والأحباب وأحلام المستقبل تلبية لداعي الجهاد في سبيل الله! (فَـاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَـاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)(المائدة:24)..

وتـوالت المـؤامرة على المجاهـدين في البوسـنة والهرسك حتى توقيع اتفاقية دايتون نسبة إلى بلدة في غرب أمريكا اسـمها دايتــون أوهــايو في قاعــدة حربية أمريكية عــام 1995م! هــذه الاتفاقية الجـــــائرة باركتها وهللت لها وســــائل الإعلام العربية الحكومية بتشف وحقد على الإسلام بزعم أن هذا الاتفـاق يقضي على المجاهـدين العـرب من خلال تسـليمهم إلى بلادهم ومن ثم القضــاء عليهم من خلال الـــزج بهم في الســـجون! وبالفعل تم تجريد كتيبة المجاهــدين من أســلحتهم وتم تشــريدهم وســحب الجنســـية الـــتي منحت لهم من قبل فصـــاروا بين قتيل وطريد ومســـجون في جوانتنـــامو ومحاكمـــات ظالمة في البلاد الـــتي يرحلــون إليهــا! وكأنها ملحمة كتبت على هــؤلاء المجاهــدين أن تتخلى عنهم الأمة ويفر منهم قادة التيار الوسطي المعتدل!

ثالثاً: ساحة الشيشان المنسية:

هـذه الدولة الصـغيرة الـتي تحيط بها قــوى الشر جغرافيا وسياسياً تخوض حروباً منذ أكثر من ستمائة عـام ولا تجد ناصـراً ولا معيناً من هذه الأمة التي تخلت عنهـا. سـكانها ينقرضـون ولم يستجب لنجـدة هـذا الشعب المظلـوم إلا هـؤلاء الشـباب الـذين ينظر إليهم بـــازدراء من قبل التيـــار الوســـطي المعتـــدل! ذلكم التيار الذي يضن بإرسال أنصـاره إلى مثل هـذه الساحات! هـؤلاء الشباب الذين كانوا ولا يزالـون مفخـرة هـذه الأمة رووا بـدمائهم الزكية أراضي القوقـــاز وقفقاســـيا! رحمة الله على شـــهدائهم ونصرالله مجاهديهم!

هنــــاك كوكبة من الـــــذين نعـــــرفهم (خطـــــاب/أبوالوليد الغامـدي/أبـوعمر السـيف/هشـام الحنـاوي) وهنـاك الكثـير من المجاهدين العرب الـذين لا يعلمهم إلا خـالقهم! رحمة الله عليهم جميعا! هؤلاء الأبطال الذين اصطفى الله بعضـهم وأبقى الآخـرين منهم شوكة في حلوق أعدائهم! لم ينتسبوا إلى هـذا التيـار الـذي صدع رؤوسنا بالوسطية والاعتـدال! وللأسف هم أبعد النـاس عن الوسـيطة والاعتـدال خاصة مع مخـالفيهم! فهـذا شـهيد الإسـلام خطـاب وإخوانه الأبطـال الـذين دوخـوا الملاحـدة الـروس.. اين موقعه من التيـار الوسـطي المعتـدل؟! خطـاب الـذي نـذر نفسه رخيصة لله تعـــالى في ســـاحات الجهـــاد من أفغانســـتان إلى الشيشان! خطـاب الـذي أشـفق على إخوانه المجاهـدين العـرب عنــدما كــانوا يلحــون عليه أن ينضــموا إلى قوافل الأبطــال في

ملحمة الجهـــاد العظيم في الشيشـــان! خشي على هــــؤلاء المتطوعين من وشاية المنـافقين الشيشـان العملاء للـروس لأنه يسـهل التعـرف عليهم بسـبب لـون بشـرتهم السـمراء! فلم يكن مندفعاً ولا متهوراً يبتغي بطولة زائفة! بل كان رحمه الله شفوقاً رحيماً رمزاً للبـذل والعطـاء وجعله الله سـبباً في هداية والـتزام كثير من الشباب الشيشاني!

ويذكرنا حـالهم بقوله تعـالى عن أصـحاب النـبي صـلى الله عليه وسلم: (وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَـوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِـدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْـهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الـدَّمْعِ حَزَنـاً أَلَّا يَجِـدُوا مَا يُنْفِقُونَ) (التوبة:92)..

فأين أنصار هذا التيـار الـذي يتحـدى الحكومـات الحالية بأنه يستطيع أن يملأ الشوارع والميادين بعشرات الآلاف من الشـباب المؤيـــدين للوســـطية المعاصـــرة وهم يتغنـــون بشـــعارهم الشهير(الجهاد في سبيل الله أسمى أمانينـا)؟! فها هو ذا أسـمى أمــانيكم في الشيشــان! الإجابة نعرفها جيــداً؛ فطريق الجهــاد شـائكة! لكننا نؤكد على حقيقة مفادهـا: نعم الجهـاد مر وصـعب بحق لكن ثمرته أشهى من العسل المصفى!

رابعاً: ساحة الصومال:

من منا لا يذكر غـزو الصـومال تحت ما كـان يسـمى بعملية إعادة الأمل التي بدأت في (ديسمبر) 1992 تحت غطـاء إيصـال معونات إنسانية، إلى الشعب الصومال! ومن ما لا يتذكر الهزيمة الساحة للقوات الأمريكية خاصة عندما نقلت وسائل الإعلام خـبر إسقاط المقاومة لطائرتي هيلوكبتر من طراز "بلاك هوك" ع قتل فيها 18 أميركيـاً وجـرح أكـثر من 73 آخـرين .. ثم الصـورة الشــهيرة الـــتي عجلت برحيل القـــوات الأمريكية وهروبها من الصومال، وهي صورة سحل جثة الطيار الأمريكي الذي كـان أحد أفـراد طـاقمي الطـائرتين في شـوارع مقديشـيو.. وبعد الهـزائم المتلاحقة للقوات الأمريكية الغازية فر الجنود الأمريكان بجلودهم ورجعـوا إلى ديـارهم خـائبين خاسـرين بعد أن صـدر أمر رئاسي بسحب القوات الأمريكية وكان ذلك في مارس 1994م.

لكن الحلقة المفقودة في هـذا الصـراع هم الشـباب الـذين كانوا وراء انسحاب القوات الأمريكية وعلى رأسهم القائد الشهيد ـ نحسبه كـذلك ـ الشـيخ أبي عبيـدة النبشـيري الـذي كـان يلقب بقائد المجاهدين العرب في أفغانستان وكان رحمه الله شخصــية مفعمة بـــــــالحب والحيوية والإخلاص بحيث لا يختلف على دماثة خلقه أحد من المجاهدين على تنوع مشاربهم..

أبو عبيــدة البنشــيري كـان وراء كل هــذه العمليـات في الصومال ومعه مساعده القائد أبو حفص المصري الذي استشـهد رحمه الله قندهار إبـان الغـزو الأمـريكي لأفغانسـتان وكـان أمـير هـؤلاء جميعـاً الشـيخ أسـامة بن لادن الـذي أكد عـدة مـرات في خطبه المســجلة أنهم أي تنظيم القاعـــدة طـــردوا الأمريكـــان

وهزمـــوهم في الصـــومال! والمتـــابع للســـاحة الصـــومالية من 1992إلى 1994م يكـاد يجـزم أن هـذه السـاحة الجهادية كـانت حكراً لشباب تنظيم القاعدة ولم يثبت أن وجد أي تنظيم جهـادي آخر في هذه السـاحة ولم يثبت أن وجد شـخص واحد كـان يقاتل في هذه الساحة ممن ينتسـبون إلى ما يسـمى بالتيـار الوسـطي المعتـدل! رغم وفـرة شـبابهم وكـثرتهم في معظم البلاد العربية والإسلامية!

أما عن الوضع الحالي في الساحة الصومالية:

فها نحن أولاء نجد احتواء غريباً لشيخ شـريف محمد رئيس المحاكم الإسـلامية وهـذا الاحتـواء يتم في دولة قطر الـذي دعي إليه شيخ شريف أحمد ليصدر بياناً مشتركاً ويجلس فيه جنباً إلى جنب مع الخـائن قاتل أبيه عـدو الإسـلام حسـين عيديد الصـغير! عيـــدي الـــذي يحمل الجنســـية الأمريكية وســـبق له العمل في صـفوف قـوات مشـاة البحرية الأمريكية (المـارينز) خلال حـرب الخليج الأولى عام 1991م! وهو أحد أمراء الحرب وصديق حميم لميليس زينـاوي رئيس وزراء أثيوبيا ولكن لما تخلى عنه زينـاوي ونصب غـيره على رأس الحكومة العميلـة! يحـاول الآن التقـرب إلى المحـاكم الإسـلامية بـزعم الوطنية المفاجئة الـتي حلت في جسده ليقاتلوا عدوهم المشترك (أثيوبيا)! وبـالطبع كالعـادة فـإن قادة ما يسمى التيار الوسطي يرحبون بهـذه الـدعوات المـاكرة! بزعم توحيد المعارضة ضد الحكومة العميلة المؤقتة التي وصـلت مقديشـيو على متن الدبابة الأثيوبية الـذي احتل أرض المسـلمين ودنسها بمباركة طـواغيت العـرب والعجم! فمن وراء هـذا البيـان المشـترك والجبهة الموحـدة بين شـيخ شـريف أحمد وبين عيديد الصغير! للأسف الشديد وراء هذه الـدعوة بعض المشـايخ الكبـار في قطر والخليج ممن ينتمـون إلى تيـار ما يسـمى بالوسـطية! تحت حجة أن في هـذا احتـواء للمحـاكم الإسـلامية من أفكـار المتشـددين كتنظيم القاعـدة ومن يتقـارب مع أفكـارهم! كما أن هذا الاحتواء سيرفع الحرج عن قيادات التيار المسـمى الوسـطي وشـبابهم! وأنه لا ضـرورة لخـوض أنصـارهم وشـبابهم القتـال بأنفسـهم ويكفي القتـال بالوكالة على طريقـة.. (فَـاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (المائدة:24)..

خامساً: الساحة الفلسطينية:

لن أخوض في تفاصيل الساحة الفلسطينية كثـيراً ولكن أود أن أشير إلى النقاط التالية:

(أ) ليس كل من حمل البندقية وقاتل ينـــال شـــرف لقب مجاهد في سـبيل اللــه! وإلا اعتبرنا نمـور التاميل في سـيرلانكا مجاهـــدين في ســـبيل الله خاصة أنهم أســـبق من الجماعـــات الجهادية التي كانت تفجر نفسها في صفوف أعدائها!

ولو كـــات كل من يحمل بندقية أطلقنا عليه مجاهـــداً في سبيل الله فسنعتبر ثـوار الكونـترا في نيكـاراجوا مجاهـدين بـررة

وهم الـــذين اخـــترقتهم المخـــابرات الأمريكية حسب رأي أحد الباحثين، ووظفتهم على يد سفيرهم هناك (نيجروبونتي) في سنة 1985م هـؤلاء الثـوار الـذين أثـاروا الـذعر والهلع والفوضى في بلادهم تماماً كما فعلت أميركا مع عصابات فتح الفلسطينية الـتي اخترقتها المخابرات الأمريكية وجعلتها تفعل ما تقوم به عصـابات الكونترا بزعم أنهم ثوار!

(ب) لم نعد نفـــرق بين بندقية حمـــاس ولا بندقية فتح ولا بندقية أبي علي مصـطفى وغـيرهم! المشـكلة أن قـادة حمـاس (وهم محسـوبون على ما يسـمى بالتيـار الوسـطي)! اختطفـوا حماس وإخلاص الشباب المنتسبين لجماعتهم ووظفـوه لمكاسب حزبية ضيقة فصـارت عمليـات حمـاس أشـبه بمن يبـتز خصـومه ويفـرض عليهم الإتـاوات وإلا قـام بعملية قتالية معينـة! فصـارت البندقية في خدمة كرسي المجلس التشـريعي! والعملية القتالية ضد العدو من أجل الحصول على حصة أو حقيبة وزارية! ومن ثم اختلط الحابل بالنابل ولم نعد نعـرف ما المقصـود بالجهـاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام! فيا للحسرة! لقد سارت حمـاس في طريق لم نكن نتمنـاه لهم! إنه السـراب! لأن الـذين كفروا وعدوا أنصارهم بالأمـاني وعيش رغيد وحيـاة كريمـة! رغم أن الله تعـالى بين لنا مـاذا يملك الـذين كفـروا وبين لنا ما هي أعمالهم.. قال جل شأنه: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(النور:39).

(ج) بالنســبة لبعض الفصــائل المنتســبة للتيــار المســمى الوسطي! فإننا لاحظنا أنهم يجاهـدون ويقـاتلون فعلاً في أمـاكن محـددة بعينها مثل فلسـطين والعـراق! بحكم أنهم من أبنـاء تلك البلد التي غزاها المحتل! وهذا خير وبركة! لكن المشـكلة أنهم لا يرسلون أنصارهم إلى سـاحات أخـرى مثل أفغانسـتان/ كشـمير/ الشيشان/ الصومال/ البوسنة/ طاجكستان إلخ! (أشبه بقتـال من أجل الأرض)! وهـذا يفسر لنا سر عـدم تحمل الفصـائل الجهادية في العراق أو حتى فلسـطين أن يسـتحوذ غـيرهم على السـاحة! كما أنه يوضح لنا الـرحلات المكوكية لقـادة هـذا التيـار المسـمى الوسطي وعرض أنفسهم على القبائل والحكومـات بـأن دعـوتهم أنفع لهم من أنصار (دولة العراق الإسلامية)! أيـاً كـان حجم هـذه الدولة العراقية الإســـلامية بإمـــارة الشـــيخ المجاهد أبي عمر البغدادي! حتى لو كانت مسيطرة على معظم محافظات العراق! طالما أنها لم تنتسب إلى هذا التيار الوسطي فإنه لـزام عليها أن تختفي بأية وسيلة وإن كانت على طريقة ميكافيللي!

(د) فحماس فلسطين لا تسمح لأي فصيل أن يستحوذ على الساحة وإن كان من أهل التوحيد وحملة القرآن الكريم طالما لم يتخرج في مدرستهم وهذا هو سر الفشل المسـتمر في السـاحة الفلسطينية وعـدم جلاء الراية الإسـلامية ووضـوحها! ونظـراً لأن هــذا الموضــوع يحتــاج إلى دراسة مستفيضة فإننا نكتفي بهــذا المقــدار ونسـأل الله أن يهـدي قـادة حمـاس وأن يعـودوا إلى الاستمساك بكتـاب الله المـتين! ونسـأل الله لهم أن يعـودوا إلى

عـزة الإسـلام لأنهم للأسف الشـديد على خطر عظيم وليتـأملوا قــول الله تعــالى: (الَّذِينَ يَتَّخِــذُونَ الْكَــافِرِينَ أَوْلِيَــاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَـإِنَّ الْعِـزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعـاً) (النسـاء: 139).

سادساً: الساحة العراقية:

بعد غزو العراق عام 2003م كانت بداية دخول المجاهــدين العــرب على يد رجل واحــد! رجل كأنه أمــة! إنه بطل الإســلام وضرغامه الشهيد ـ نحسبه كذلك ـ المقدام أبو مصعب الزرقـاوي المظلوم في حياته وبعد مقتله! الشيخ أبو مصعب الزرقاوي وضع اللبنــات الأولى للعمل الجهــادي التنظيمي في أرض الرافــدين! سبحان اللـه! أبو مصـعب الزرقـاوي كـان ينظم الصـفوف ويبـني صـرح التنظيم ويخـوض المعـارك بنفسه ضد القـوات الغازية في نفس الوقت الـذي كـانت فيه بعض القيـادات الإسـلامية العراقية تائهة حائرة من هـول الصـدمة الـتي أحـدثتها القـوات الغازية في أنفسـهم! ثم رأوا بـأم أعينهم كيف كـان يتحـرك هـذا الرجل أبو مصعب الزرقاوي رحمه الله تعالى في ربـوع البلاد محرضـاً أبنـاء العــراق من أهل الســنة على القتــال وعلى القيــام بــواجبهم الشـرعية وكـان له القـدح المعلى في معركة الفلوجة الباسـلة! وكان في تلك الفترة يقاتل تحت مسـمى تنظيم التوحيد والجهـاد وكان الشـيخ الجنـابي يعـرف ذلك جيـداً وكـان يتعـاون معهم وقد ذكره الشـيخان أبو مصـعب وأبو انس الشـامي رحمه الله تعـالى بخـير في بيـانين لهمـا! وهـذا ما أثـار حفيظة المتـابعين لإطلالة الشـــــيخ عبد الله الجنـــــابي وكنا نتوسم فيه أن ينصف إخوانه المجاهدين! والذي أدهشني بحق عدم ذكـره للشـيخ أبي مصـعب الزرقاوي بأية كلمة ترحم! بل إنه ذكره في معرض التهكم عندما تكلم عن (حمراوي زرقـاووي ..)! لمـاذا نكـران الجميل وكفـران الأخوة أيها المشايخ الأجلاء!

وإلى من يفـتري على دولة العـراق الإسـلامية نـردد معهم قول الشاعر:

وهبكَ تقولُ هذا الصبحُ ليلٌ *** أيعمى العالمون عن الضياءِ

وإذا كان لنا من تعليق على هذه الأحـداث الأخـيرة فإننا نمسها مساً خفيفاً:

مما لا شك فيه أن هنــاك تناغما تم في الآونة الأخــيرة ضد دولة العراق الإسلامية على النحو التالي:

(أ) جــولات الشــيخ حـارث الضـارية المكوكية إلى الـدول العربية وحلوله ضيفاً لدى رؤساء هـذه الـدول! مع غمـزه ولمـزه في الدولة الإسـلامية من طـرف خفي وبالتصـريح أحيانـا! نفس هؤلاء الرؤسـاء الـذين تـآمروا على غـزو الشـعب العـراقي وقتله أبنائـه! نفس هـؤلاء الرؤسـاء الـذين كـانوا يحتضـنون المعارضة الشيعية التي تحالفت مع الأمريكان في احتلال عاصـمة الرشـيد!

نفس هذه الفصائل الشيعية التي كـانت معـززة مكرمة في هـذه الدول! وها هو ذا الشيخ الضـاري يثق في نفس هـذه الحكومـات العميلة الــتي دمــرت بلاده! وصــدقت العــرب في قولهــا: كيف أعاودك وهذا أثر فأسك!

(ب) حـوار برنـامج بلا حـدود مع الـدكتور إبـراهيم الشـمري الناطق الرسمي باسم الجيش الإسـلامي! مع هجـوم مباشر على دولة العـراق الإسـلامية! وصـوته الـذي يقطر منه الاسـتعلاء على إخوانه والتقليل من حيثية الشــيخ أبي عمر البغــدادي! وقد تكفل الاخوة الفضلاء بالرد والتعـاليق على حـوار الـدكتور الشـمري فلا داعي للتكرار.

(ج) ثالثة الاثــافي: كــانت المفاجــأة الإعلان عن حــوار مع الشـيخ الجنـابي فتنفسـنا الصـعداء وتوسـمنا في الشـيخ الجنـابي خيراً نظـراً لما سـمعناه عنه في معركة الفلوجة الاولى والثانيـة! لكن للأسف الشـديد كـان حـوراً مخيبـاً لآمـال من توسـموا في الشـيخ خـيراً! وكنت أربأ بالشـيخ أن يصم هـؤلاء الشـباب الـذين نحسبهم صـفوة المسـلمين ونخبتهم الـذين يـدافعون عن شـرف الأمة! يصمهم بعقوق الوالدين وضـرب الأم ومنهم من لا يصـلي! هؤلاء الشباب الذين باعوا أنفسهم رخيصة لرب العالمين يفعلـون هذه الأفاعيـل؟! وهب أن شخصـاً قريبـاً لك تعرفه عق أمه أو لم يكن يصـلي من قبل مثلاً؟! فلمـاذا تـبرز هـذا المثل السـيئ! وما علاقة ذلك بدولة الإسلام وتنظيم القاعدة لكي تعمم هـذا المثـال عـبر وسـائل الإعلام حيث تخـتزل الصـورة في أن دولة الإسـلام عبارة عن جماعة من الأشرار الذي يضربون آباءهم! فإذا لم يكن لهم خير في أهليهم فهل سيرجى منهم الخـير لأهل العـراق وهل يصح أن يطلق على هــؤلاء صــفة مجاهــدين في ســبيل اللــه! سامحك الله يا شيخ جنابي! أخشى عليك قـول الله تعـالى (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئـاً فَقَـدِ احْتَمَـلَ بُهْتَانـاً وَإِثْمـاً مُبِيناً) (النساء:112)..

(د) بيان تشـكيل تحـالف جديد باسم جبهة الجهـاد والإصـلاح يضم الجيش الإســلامي وفصــائل متقاربة مع تيــار ما يســمى بالوسطية!

ولنا تساؤل برئ: لماذا الآن؟! وفي هذا التوقيت؟! قد يقول قائل من حقهم أن يشـكلوا حلفـاً لقتـال الأعـداء! نعم يحق لهم ذلـك! لكن لا يحق لهم أن يهـاجموا اتحـاداً قائمـاً قبلهم! ولا يحق لهم أن يعلنوا ازدراءهم وافتراءهم على إخوانهم!

هكذا يستطيع المتـابع للأحـداث الأخـيرة أن يصل إلى نتيجة مفادها: هذا الأمر قد نُشور فيه في غـير هـذا المكـان! أمر قضي بليـل! وقد اسـتطعنا أن سـنتخلص نتيجة مفادها طالما أن الدولة الإسلامية لم تخرج من رحم التيار المسـمى الوسـطي المعتـدل! فأنه لن يرضى عنها هذا التيار وبطانته! وستستمر حملة التشـويه والازدراء على دولة العراق الإسلامية! ولكن نسأل الله أن يهــدي الفصائل الجهادية المنتسبة أو المحسـوبة على ما يسـمى بالتيـار

الوســطي! إلى الحـــق! وان يفوتـــوا الفرصة على أعـــداء الأمة المتربصـين بهم وبـإخوانهم في دولة العـراق الإسـلامية الـدوائر! نسأل الله أن يوحد صـفوفهم على الحق وأن يلم شـعثهم ويجمع كلمتهم وأن يسدد رميهم! وأن ينصرهم نصراً عزيزاً مؤزراً!

صفوة القول

إن التيـار المسـمى بالوسـطي المعتـدل! ابتعد تمامـاً عن عقيدة الولاء والـبراء! لـذلك أثمر تخليه عن هـذه العقيـدة سـلخاً جديـداً لا يعرفه سـلفنا الصـالح هـذا السـلخ (الإسـلام الأنبـوبي المستنسـخ)! إنه تيـار يلعب بالنـار! ويفـرق جمع المجاهـدين في السـاحات الـتي يقـارعون فيها أعـداء الأمة ويبـذلون مهجهم وأرواحهم دفاعاً عن هذا الدين العظيم!

فليحذر قـادة هـذا التيـار من نقمة الله تعـالى الـتي قد تحل بهم من فتنة في الـدنيا وخـزي والآخـرة.. قـال الجبـار جل وعلا: (فَلْيَحْـذَرِ الَّذِينَ يُخَـالِفُونَ عَنْ أَمْـرِهِ أَنْ تُصِـيبَهُمْ فِتْنَـةٌ أَوْ يُصِـيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور:63).

مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

16 ربيع الثاني 1428هـ